توظيف العامية في روايات واسيني الأعرج –رواية نساء كازانوفا أنموذجا–

The Use of the Colloquial in the novel of Casanova Women by Wassini Laredj Al-Araj as a Model

طالبة دكتوراه/ سميحة الأبيض
الأستاذ الدكتور: بلقاسم دفة

قسم اللغة والأدب العربي -جامعة باتنة 1- باتنة (الجزائر)
مخبر الأبحاث في التراث الفكري والأدبي بالجزائر، جامعة باتنة 1

samahrooh@hotmail.com
dr_deffabelkacem@hotmail.fr

تاريخ الإيداع: 2020/10/29 تاريخ القبول: 2020/12/12 تاريخ القبول: 2021/03/15

ملخص:

يعد واسيني الأعرج من الروائيين العرب الذين وصلت كتاباتهم إلى العالمية لما لها من تأثير على القارئ حيث تتصف بتعرية الحقائق ووصف الوقائع الاجتماعية والفكرية والأيديولوجية، وقد استعان في بنائه اللغوي بتقنيات فنية مميزة أنتجت خطابا جزائريا حديثا من حيث البناء واللغة التي مازج فيها بين اللغة الفصحى الفخمة الأنيقة واللغة العامية البسيطة، وقد وظف العامية في الحوار بين الشخصيات لتصور الواقع بكل آلامه وآماله وأمثاله التي تجري على ألسنته والأغاني الشعبية التي يرددها في أفراحه.

وقد تناولنا الإشكالية الآتية: ما هو سياق الاهتمام باللغة؟ وهل وفق واسيني الأعرج في توظيف اللغة العامية؟ وهل هي الأقدر على تصوير الواقع وشخصياته؟ وهذا ما سنحاول الإجابة عنه في المقال الذي عنوناه بـ "توظيف العامية في رواية نساء كازانوفا لـ واسيني الأعرج أنموذجا" مبرزين قدرة الكاتب على توليد اللغة واستثمارها واستخدامها في أحسن الصيغ.

الكلمات المفتاحية: لغة الرواية، واسيني الأعرج، العامية، الحوار، الأمثال، الأغنية الشعبية، الخطاب الأدبي .

Abstract:

Waciny Al-Araj is one of the Arab novelists whose writings have reached the world because of its impact on the reader, as it is characterized

by denuding facts and describing social, intellectual and ideological facts, and his use in linguistic construction with distinctive artistic techniques that produced a modern Algerian discourse in terms of construction and language in which it mixed between the beauty and elegant classical and the simple colloquial language, and his use of the colloquial in the dialogue between the characters to visualize the reality with all its pains, hopes and proverbs that take place on his tongues and the popular songs he recites in festivals. We have delay with the problem: What is the context of interest in language? Does Waciny succeeded in the use of the vernacular? Is it the most capable of portraying reality and its characters? This is what we will try to answer in the article entitled "The Use of the Colloquial in the novel of Casanova Women by Wassini Laredj Al-Araj as a Model", highlighting the writer's ability to generate language, invest it and use it in the best form..

Key words: novel language, Wassini Laredj, colloquial, dialogue, proverbs, popular song, literary discourse.

مقدّمة:

تعد الرواية الجنس الأدبي الأكثر شعبية وانفتاحا على المجتمع والأقدر على محاورة غيرها من الأجناس الأدبية، ساعدها في ذلك عدة عوامل كاتساع فضائها النصي والتّخييلي وقيامها على تعدد الأصوات واللغات، وتعتبر اللغة في الرواية الأداة التي يبدع الروائي في توظيفها أجمل توظيف، فمن خلالها يخلق عوالم جديدة ومُبتكرة، يسقط عليها من فكره وإيديولوجياته ومعارفه، كما تعتبر الوعاء الذي يحمل ويحتوي جميع العناصر الروائية من سرد ووصف وحوار.

ويعد واسيني الأعرج من الروائيين الذين اجتهدوا في إخراج رواياتهم في ثوب لغوي جميل أهّلها لاحتلال مراتب عليا و في زيادة نسبة المقروئية واستحواذ قلب القارئ العربي، لما تمتاز به اللغة عنده من جمالية ترجع للممارسة النقدية والكتابية الفنية فهو كاتب أكاديمي مزدوج اللغة واسع المعرفة ومن أكثر الروائيين العرب حضورا محليا ودوليا، مطّلع على ما يجري في الساحة النقدية الأدبية والثقافية.

وهو من الرواة الذين يمزجون أكثر من لغة في الرواية الواحدة، إذ نجده يوظف العربية الفصحى، والعامية والفرنسية، ولغات أخرى، فيستعمل الفصحى في السرد مما يجعلها راقية وأنيقة تعبّر عن شخصية الكاتب المتمكن من زاده اللغوي والمعرفي، واللغة العامية تستخدم في الحوار بحجة أن الرواية تعبير عن الواقع، والواقع لا يستغنى عن العامية فهي لغة الشعب.

1_ اللغة العامية:

يجنح بعض الروائيين إلى اللغة العامية في الحوار، فهناك من ينظر إلى أنها الأقدر تعبيرا عن مشاعر الإنسان، وتأثيرا في وجدانه، ويعتبر واسيني الأعرج من الأدباء الذين وظفوا العامية أيما توظيف فلا تخلوا له رواية منها وتنافس اللغة الفصحى من حيث الحضور في كثير من الروايات.

والعامية هي تلك "اللغة التي تستخدم في الشؤون العادية، والتي يجري بها الحديث اليومي، ويتخذ مصطلح العامية أسماء عدة عند بعض اللغويين المحدثين كـ "اللغة العامية" و"الشكل اللغوي الدارج" و"اللهجة الشائعة " و" اللغة المحكية " و"اللهجة العربية العامية" و"اللهجة الدارجة" و"اللهجة العامية" و"العربية العامية" و"اللغة الدارجة" و"الكلام الدارج" و"الكلام العامي" و"لغة الشعب"....إلخ[1]، فهي إذن تعتبر اللغة البسيطة المحكية في الشارع المتحررة من القواعد النحوية والصرفية، وقد وظفها الروائي في استنطاق شخصيات روايته من خلال الحوار وعند الاستشهاد ببعض الموروثات الشعبية كالأمثال والأغاني الشعبية.

2_ الحوار:

الحوار هو وسيلة لغوية تقنية هامة في بناء الرواية ويعتبر من أهم العناصر السردية في المتن الروائي وهو "عرض درامي الطابع للتبادل الشفاهي يتضمّن شخصين أو أكثر وفي الحوار تقدّم أقوال الشخصيات بالطريقة التي يفترضُ نطقهم بها، ويمكن أن تكون هذه الأقوال مصحوبة بكلمات الراوي، كما يمكن أن ترد مباشرة دون أن تكون مصحوبة بهذه الكلمات"[2]، فهو عبارة عن طريقة لتبادل الكلام بين متحاورين أو أكثر حول موضوع أو فكرة معينة بهدف الوصول إلى أكثر من وجه للحقيقة.

ومن أمثلة الحوار في رواية نساء كازانوفا لواسيني الأعرج :

" كازانوقا مااات كازانوفا مااات

- شكون قالك مات؟

- مش الأفضل أن تنام"[3]

هذا الحوار الذي ابتدأ بخبر موت شخصية كازانوفا، الشخصية التي يخشاها الجميع ويهابها، فهي مزيج من الواقع والأسطورة والخرافة وأصبحت حديث الشارع الشعبي الذي تلهج ألسنته كالعادة بالحدث اليومي، فجاء الحوار بلغة الشعب اليومية بين **كابي** بائع الجرائد اليومية الذي ينقل الخبر وينشره بين أوساط الشعب **وريزو** الذي أرهق كاهن الشرطة و"ملت من سجنه"[4]، فكان حوارا تلقائيا بسيطا يجري مجرى الحياة اليومية

الاجتماعية وظفه الكاتب بنفس اللغة العامية البسيطة التي يتحدث بها الشعب ليقرب للواقع وتمثيله.

ومن الحوارات بين ليان وحبيبها:

"– لا تنس، هاذي عاشر مرة بتوعدني، راح أكون هناك ولو لم تأت.

- ولو يا قلبي، رح أكون معك، ونركض معا

- أوكي، وعد. يمكن أنا كمان أنزل شْوي مع ماما مباركة

عمو صالح بيدافع عني كثير، عارفة أنك أنت اللي وصيت علي.

- اتفقنا بوسي لي حبيبتي ليان ومامتها الطيبة"[5]

هذا حوار عاطفي بين **ليان وكابي** من خلال اللغة يظهرها فتاة شامية ناعمة اللهجة، فهي تعاتب **كابي** عتابا لطيفا "هاذي عاشر مرة بتوعدني" وتتودد له وتقول بأنها ستحضر للموعد ولو لم يأت، فكانت كلمات **ليان** اللطيفة الهامسة بمثابة الأنس **لكابي** الذي قضى يومه حافلا بالتعب فصور باللغة العامية المشهد بلحظات أنسه ودفء مشاعره وتلقائيته، فكان ناطقا يحكي تفاصيل الحب والاشتياق.

ومن الحوار الذي يشطّط غضبا:

"يا الكبّول بن الكبّول، هل تعرف ماذا فعلت؟ سامسونغ يا يماك، سامسوووونغ، آخر موديل، ستدفع ثمنه دما.

- الكبول جاي اليوم ينحيلك يماك"[6]

حوار بلهجة غضب حاد بعد شجار بين **كابي وكوتر** وهو هاكر معروف يخترق حسابات الأشخاص ويستحوذ على خصوصياتهم من محادثات وصور ثم يهددهم بالفضح أو دفع مال، وقد استغل **ليان** حبيبة **كابي** بتصويرها والتشهير بها مما أوغر صدر **كابي** فدفعه لضربه بقوة فكسر له جهازه، فحمل هذا الحوار ألفاظ سوقية هابطة من العامية تبرز حجم الغضب وشدته، كما استعملت ألفاظ من التكنولوجيا سامسونغ والآتية من اللفظة الإنجليزية samsung، وهي نوعية من الهواتف النقالة، غالية الثمن مما أفقد **كوتر** عقله بتكسره، فاستشاط غضبا، فجاءت اللغة العامية الملائمة لكلامه الفاحش تعبر عن حجم الغضب الذي بداخله.

وظفت العامية مشكّلة بالمظهر الحواري، حيث نقلت المشهد المعاش في البيئة البسيطة، وقد أدّت وظائف مختلفة كاشفة باطن الشخصيات المحاورة وإظهار عالمها الخفي وبث مشاعرها وهمومها ومعبرا عن آلامها وتطلعاتها، فهي لغة الشارع اليومي لأنها صورة طبق الأصل للعالم الروائي الذي هو صورة مصغرة عن المجتمع.

3_ توظيف المثل الشعبي:

المثل الشعبي يعد نوعا من الإبداعات الشعبية، وهو لا يزال يلعب دورا مهما في الحياة الاجتماعية المعاصرة لكونه قادرا على تصوير العلاقات الاجتماعية المعقدة، والأمثل في التعبير عن التناقضات الحياتية.

يعرَف المثل الشعبي على أنه: "عبارة قصيرة تُلخص حدثا ماضيا أو تجربة منتهية، أو موقف الإنسان من هذا الحدث أو هذه التجربة في أسلوب غير شخصي، أو أنه تعبير شعبي يأخذ شكل الحكمة التي تُبنى على تجربته أو خبرة مشتركة"[7]، فأصبح ضرب المثل فنا كغيره من الفنون الأخرى، يُستدعى كشكل من أشكال التعبير المتاح لطبقات المجتمع كلها مثقفيها وأميها.

أما عن "سبب شعبية المثل وانتشاره بين طبقات المجتمع كافة، فيعود إلى ما يتميز به المثل من مرونة وفكاهة، وتعبير موجز وصادق عن التجربة الإنسانية "[8]، لذلك "يعدّ المثل الشعبي من أهم فنون التعبير الشائعة بين الناس والمتناقلة بين أفراد المجتمع في العصر الواحد، وعبر العصور المتعاقبة"[9]، ويضيف عبد الحميد بورايو في خصائص المثل "وضوح المعنى وجمال الأداء وعموم الدلالة"[10]، ومنه يؤدي المثل دورا مهما في حياة المجتمع لما يحتويه من قيم فكرية تقوم على خلاصة تجارب إنسانية عاشتها الجماعة.

ومن الأمثال التي وظفها واسيني الأعرج في روايته:

-الفلوس يعلم باباه النقب[11]:

بمعنى أن الابن يعلم أباه من باب التهكم، جاء المثل على لسان عكاشة وهو يتحاور مع عمه خلدون الأكبر منه سنا والأكثر ثقافة فقد كان أستاذا جامعيا واسع المعرفة فيقول له تعرف كل لغات العالم، لكن تنقصك لغة الشارع، لغة الغاشي فهو قد غرق في الكتب وابتعد عن لغة المجتمع، ثم قال أعرف أنك ستقول "الفلوس يعلم باباه النقب"، وكأنه أحس بعمه خلدون تذمر من قيامه منه منزلة الناصح وهو أعلى منه قامة وأكثر معرفة فجاء المثل ليصور حالة المتعلم الذي يسدي نصائح لمعلمه الأطول قامة منه، وقصد عكاشة أن مدرسة الحياة لها تعاليمها وأهميتها وهي الأقرب للممارسة المعيشية.

- تدير من الحبة قبة[12]:

أو "جعل من الحبّة قُبّة: بالغ جدًّا، جسَّم الأمرَ وبالغ في تجسيمه"[13]، فهو تعبير مجازي يقصد به تضخيم أمور لا تستحق التضخيم، وقد وظف واسيني الأعرج هذا المثل على لسان **مسعود** والذي هو أحد خدم **كازانوفا** وكان بمثابة ممرض له والقائم على شؤونه حتى في حالات مرضه، فهو يبسط له الأمور التي تجري بالخارج والمتداولة حول خطورة

وضعه فهو يطمئنه بأن كلامهم تضخيم للأمور ومبالغة، فوظف هذا المثل يجسد الفكرة ويبرزها.

- **ضربني وبكى وسيقني واشتكى**[14]:

هذا المثل يقال فيمن يفعل الأفاعيل ويتهم الناس بها، كما يُقال للرجل الظالم يتظلّم ليُسكت عنه[15]، جاء المثل على لسان **زينا** والتي هي إحدى زوجات **كازانوفا** الشرعيات، والتي تعرضت للخداع والظلم من طرفه، وهي تحدثه عن اللوحة التي اشترتها هدية له في يوم زواجهما وهو يطرق صمتا كأنه غاضب غير آبه بها ، فانفعلت قائلة له المثل لتعرّفه بأنها الأحق بالغضب، فهي علمت بسلسلة الكذبات التي أنسجها **كازانوفا** للإيقاع بها، فجاء المثل كأنسب تعبير عن الظالم الذي يبادر بالشكوى ويتظلم ليُسكت عنه.

- **حوت ياكل حوت ولي ماقدرش عن شقاه يموت:**

بمعنى أن الأقوى يهيمن على من هو أضعف منه، يُقال المثل في صورته الشاملة **"حوت ياكل حوت حتى يجي سلطان الحوت ياكلهم الكل"** ، ويعني المثل عموما أن الحوت الكبير يأكل الحوت الصغير وأن القوي يهيمن على من هو أضعف منه.[16]

- **خلي البير بغطاه**[17]:

يقوله الرجل آمرا محدثه الكفّ عن كشف أمر ما لا يرغب البوح به، وقد ينطق به من لا يريد من أحد أن ينبش عن أمور وذكريات مؤلمة هي بالنسبة إليه كإعادة فتح جروح قديمة[18]، جاء المثل في حوار بين **كازانوفا** وخادمه **مسعود** وهما يتحدثان عن **ركينا** (رقيّة) التي هي إحدى زوجاته التي تزوجته غصبا، وتغذت بداخلها أفكار الانتقام حد قتل يوسف ابن ضرتها **ساراي**، وقد اكتشف **كازانوفا** خطتها في قتله وكان يسردها مع خادمه الوفي **مسعود**، وبعد استفاضة في الحديث عن واقعة قتلها ليوسف، وهو منهك من المرض الجسدي والألم النفسي جاء بذكر المثل لأنها حادثة رهيبة ومؤلمة وهو في آخر أنفاسه لا يقدر على شيء .

- **حشيشة طالبة معيشة**[19]:

هذا المثل يطلق على أن المواطن البسيط هو من يبحث عن لقمة عيشه وفقط، لا تهمه إلا الحياة البسيطة بعيدا عن الآمال الضخمة والتعقيدات الحياتية، جاء المثل على لسان **كابي** لما سأله **ريزو** في الموكب الجنائزي إن كانوا سيدفنون **كازانوفا** في فراش من حرير، فرد عليه أسأل الشيخ منصور و**الإمام زكريا** أما أنا وأنت حشيشة طالبة معيشة نحن البسطاء نبحث عن لقمة العيش فقط، وأردف قائلا: "إن وجدت فطورها غاب علها

العشاء"[20]، فوظف المثل ليصور حالة البسيط الذي يبتعد عن التعقيد وحياة الترف فهي لا تعنيه.

إن توظيف الرواية المثل الشعبي والعناصر التراثية لإقامة التماثل بين الحاضر والماضي وتثبت أصالة الشخصيات التي نطقت بها وتجذّرها في قيم المجتمع، كما تبرز الدور التربوي الذي تؤديه أو تنقله عبر قيم الأخلاق التي تتصارع مع التقاليد الغربية الوافدة.

4_ توظيف الأغنية الشعبية:

حظيت الأغنية الشعبية باهتمام الكتّاب على المستوى العالمي، إذ قلّما نجد رواية لا تستلهم روح أغنية شعبية تعيش في أعماق المجتمع ويرددها الناس، لأنها تعتمد على الكلام السهل المتناول الذي يوجه مختلف العواطف من خلال ألحان بسيطة يسهل حفظها لتتمكن الجماهير من ترديدها، فهي إذن "قصيدة غنائية ملحنة مجهولة النشأة، ظهرت بين أناس أمّيين، في الأزمان الماضية ولبثت تجري في الاستعمال لفترة ملحوظة من الزمن، وهي فترة قرون متوالية في العادة ... وأن الأغنية الشعبية هي الأغنية التي أنشأها الشعب، وليست هي الأغنية التي تعيش في جو شعبي"[21].

وقد أولى واسيني الأعرج اهتماما كثيرا للموروث الشعبي و إصراره على أنه جزء لا يتجزأ من شخصية الكاتب و انتمائه، ومن ذلك الأغنية الشعبية التي هي أحد الأجزاء التي تنحت صورة كاملة للمخيال الشعبي وصوته ولغته، فهي تتحدث عن نفسها، ومن الأغاني التي وظفت في الرواية:

"يا لالّة بْنَتْوات يا أميرة الغاشي،
الجبال والصحاري والموت القاسي،
طير بنا يا حمام الخير وزيد
غطينا بالغيمة، وطّل الجديد.[22]

هذا النشيد يغنيه **كازانوفا** كلما اشتاق إلى زوجته **سراي** والتي كانت من أحبّ نسائه إليه، كان يصفها بلالّة وهو وصف للسيدة الرفيعة الشأن، حيث كانت رفيعة المكانة في قلبه، ويصفها كذلك بأميرة الغاشي، حيث امتلكت القلوب، وكانت **سراي** من منطقة صحراوية تسمى توات فيقول يا لالة بنت توات، حيث قسوة الصحراء والجبال وصعوبة الحياة فيها إلا أنها أنجبت هذه الحمامة القريبة إلى قلبه وحولت قسوة المكان إلى ظلال ونعيم، فكان يقول أنها حمام الجنّة ويتغنى بهذا النشيد كلما تذكرها.

ومن الأغاني الشعبية كذلك :

إذا طاح الليل وين نباتو؟
فراش حرير ومخداته[23]

هذا المقطع ردده **كابي وريزو** أثناء الموكب الجنائزي لـ **كازانوفا لما كان الإمام زكريا** يفرش سجادة الحرير لوضع التابوت الذي يحمل جثته، حيث أقيمت جنازة أسطورية، فبما أنهما من الطبقة البسيطة حز في نفسيهما هذا البذخ وهما اللذان يكدان من أجل لقمة العيش وجثة هامدة في فراش الحرير فجرى على لسانهما هذا النشيد.

إن الأغنية الشعبية تعبر عن الواقع وقدرة الأفراد عن التعبير عن تشخيص آلام الشعب وأفراحه وأماله، فهي وسيلة تعبيرية عن تفاعلات المجتمع الشعبية وصورة صادقة عن سير عاداته وقيمه ومدى ثباتها.

خاتمة:

واسيني الأعرج يصور شخصيات رواياته بما يلاءم وضعياتها البيئية وحالاتها النفسية ومستواها الثقافي، حتى أن القارئ من خلال اللغات التي تنطق بها الشخصيات يميز بين التفاوت في المواقع الاجتماعية والفكرية لها، فالروائي واسيني له حس مبدع فقد وفق في المزج بين العامية والفصحى بطريقة لا تخل بالمبنى الروائي، حيث استعمل العامية في الحوار بين الشخصيات حيث أنطقها بلغة الحياة اليومية ببساطتها وتلونها النفسي والانفعالي الاجتماعي، كما أثراها بأمثال المجتمع الشعبية مما جعل من رواياته تصطبغ بلون المجتمع، وهذا من أسباب نجاح رواياته فهي غارقة في نسيج المجتمع الجزائري تعبق وتتلون بما يطرأ عليها ويمر من محن يطرزها في ثوب فكري لغوي أنيق وراق.

هوامش المقال:

(1) إيميل بديع يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط5، 1982، ص144.

(2) جيرالد برنس، قاموس السرديات، تر: السيد إمام، دار ميريت، ط1، 2003، ص45.

(3) واسيني الأعرج، رواية نساء كازانوفا، مكتبة الرمحي أحمد، فلسطين، ط3، 2017، ص12.

(4) نفسه، ص489.

(5) نفسه، ص491.

(6) نفسه، ص493.

(7) أحمد أبو زيد، دراسات في الفولكلور، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1972، ص187.

[8] ابن ذهبية بن نكاع، التراث الشعبي في بناء المسرح العربي المعاصر، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2006، ص17 .

[9] عبد الحميد بورايو، الأدب الشعبي الجزائري، دار القصبة، الجزائر، 2011، ص57 .

[10] نفسه، ص57.

[11] واسيني الأعرج، رواية نساء كازانوفا، ص20 .

[12] نفسه، ص210 .

[13] أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج3، عالم الكتب، مصر، ط1، 2008، ص1764.

[14] واسيني الأعرج، رواية نساء كازانوفا، ص248.

[15] سعيد سلام، دراسات في الرواية الجزائرية وتناصها مع الأمثال الشعبية، دار التنوير، الجزائر، ط1، 2012، ص74.

[16] نفسه، ص64.

[17] واسيني الأعرج، رواية نساء كازانوفا، ص331.

[18] سعيد سلام، دراسات في الرواية الجزائرية وتناصها مع الأمثال الشعبية، ص181.

[19] واسيني الأعرج، رواية نساء كازانوفا، ص481.

[20] نفسه، ص481.

[21] أحمد مرسي، الأغنية الشعبية، دار المعارف، القاهرة، دط، 1983، ص05 .

[22] واسيني الأعرج، رواية نساء كازانوفا، ص285.

[23] نفسه، ص481.

قائمة المصادر والمراجع:

- أحمد أبو زيد، دراسات في الفولكلور، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1972.
- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج3، عالم الكتب، مصر، ط1، 2008.
- أحمد مرسي، الأغنية الشعبية، دار المعارف، القاهرة، جمهورية مصر العربية ، ط1،1983.

- إيميل بديع يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط5، 1982 .
- ابن ذهبية بن نكاع، التراث الشعبي في بناء المسرح العربي المعاصر، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2006.
- عبد الحميد بورايو، الأدب الشعبي الجزائري، دار القصبة، الجزائر، 2011.
- جيرالد برنس، قاموس السرديات، تر: السيد إمام، دار ميريت، ط1، 2003.
- واسيني الأعرج، رواية نساء كازانوفا، مكتبة الرمحي أحمد، فلسطين، ط3، 2017.
- سعيد سلام، دراسات في الرواية الجزائرية وتناصها مع الأمثال الشعبية، دار التنوير، الجزائر، ط1، 2012.